20180413-0007-L

13 نيسان: لحظةٌ للحقيقة

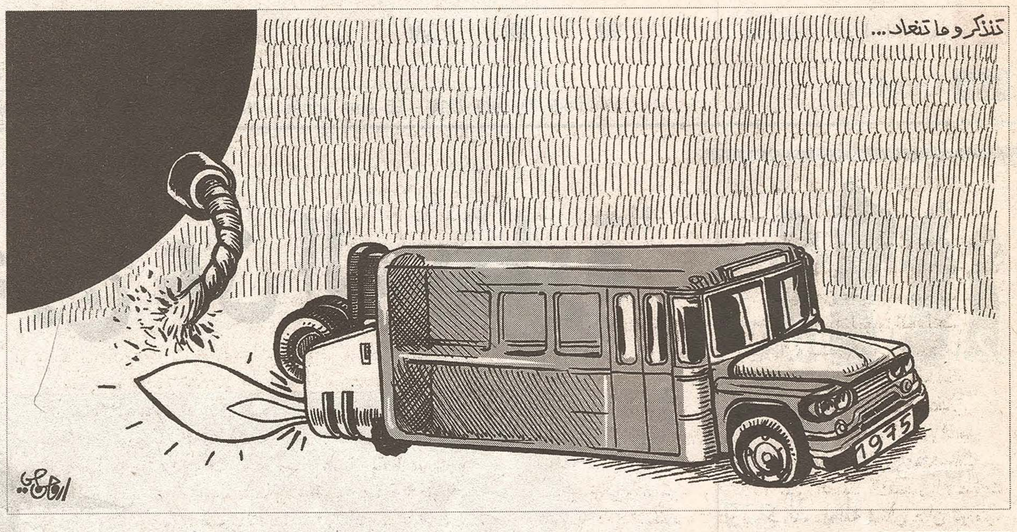

عقل العويط

في هذه الذكرى الثالثة والأربعين لاندلاع الحرب اللبنانية، هل من لحظةٍ للحقيقة؟ وإذا كان ثمّة لحظةٌ كهذه، فهل تريدونها، أيها اللبنانيات واللبنانيون، حقيقةً صريحةً وقحةً و... مفيدة؟ هل تريدون، حقاً، لحظة هذه الحقيقة؟ إذا نعم، فإننا نقترح عليكم أن تأخذوها، والحال هذه، من هنا، من هذه المنصة بالذات. أن تأخذوها، كاحتمال، حيث لا غاية لنا سوى إعلاء شأن الحقيقة اللبنانية، من أجل لبنان واللبنانيين.

فما هي حقاً، هذه الحقيقة؟ ما هي هذه الحقيقة، "بالزلط"، بعريها؟ بجلافتها؟ بصفاقتها؟ بوقاحتها؟ بوقائعها ومعطياتها؟ بأبطالها؟ بجلاّديها؟ بمجرميها؟ بمحرّكي الدمى فيها؟ بملاعبها؟ بساحاتها؟ بكواليسها؟ وبلاوعيها الجمعي الدفين؟ مَن يجرؤ على إعلان هذه الحقيقة؟ على إفشاء سرّها، وعلى قولها، على قولها كاملةً، وبدون زيادة أو نقصان؟! مَن يجرؤ على التشهير العملاني، الفعلي، الملموس، بالكذبة الوطنية، كذبة الوفاق الوطني، كذبة التعايش، كذبة العيش المشترك، كذبة العيش معاً، كذبة المصلحة (أو الوحدة!) الوطنية، كذبة الديموقراطية التوافقية؟ من يجرؤ على قلب هذه الطاولة اللعينة، طاولة النفاق، الرياء، المكر، الخبث، التي نجلس جميعنا حولها، باعتزاز، بعنجهية، وأحياناً على مضض، وقسراً، أو بالتراضي، ونتماهى فيها، ونطالب بها، ونريدها جميعنا – تقريباً – أو جميعنا بلا استثناء؟

خلافاً لكذبة هذا السلام اللبناني المريض، كذبة انتهاء الحرب، من يجرؤ على القول (مضحّياً بالمصالح والصفقات) إننا في حالة حربٍ دفينة وظاهرة، بل إننا في الحرب نفسها، وإن جمر هذه الحرب ليس تحت الرماد بل فوقه تماماً. والجمر، جمر هذه الحرب، ملتهب، حارق، متأجّج، مستفزّ، وهو يستعرض نفسه علناً، مدجّجاً بعناصر ولادته المستمرة؟

من يجرؤ، من هذه القطعان اللبنانية الفظيعة، المتنوّعة، والمتعدّدة، من يجرؤ على قول الحقيقة الموجعة، حقيقة أن لبنان الدولة، لبنان الدستور، لبنان المؤسسات والهيئات الرقابية، لبنان السلطات الثلاث، المستقلة الواحدة عن الأخرى، غير موجود إلاّ على الورق، وأنه يريد علناً – وبمبادرةٍ سياسية ملموسة - تجسيد ما يخالف هذه الحقيقة؟

فلنقِرّ بالآتي: هذا النظام السياسي، يفيد جميع المنضوين فيه. لأنه نظام التكاذب والتنافق والتباوس والتقاسم، نظام الطوائف والمذاهب المتصالحة المتقاتلة والمتناحرة، نظام أصحاب الصفقات المشبوهة، حيث لا يستطيع أحدٌ أن يكون ضدّ ذاته. وحيث لا يريد أحدٌ أن يكون ضدّ ذاته. لذا، يقبل بهذا النظام جميع المنضوين تحت سقف "آلهته" ومصالحه. ولذا أيضاً يتوافق جميع المستفيدين منه على حمايته، وبلسمته بماء العيون، وصونه بالرموش، وبتدوير زواياه، وبالحدب عليه، وحراثته، وريّه، وتشذيب "العشب الضارّ"، عشب الرفض والانتفاض والتغيير، ليبقى قادراً على تطويع كلّ تمرد، وعلى تأمين الاستمرار لديمومته وتوالده.

نحن اللبنانيات واللبنانيين، حماة هذا النظام، نحن محض مَرائين وفرّيسيين وكَذَبَة. هذه هي لنا، لحظة الحقيقة، في مناسبة الذكرى الثالثة والأربعين لاندلاع الحرب.

عدّوا معنا: أولاً ثانياً ثالثاً، وإلى ما نهاية: أيّ لحظةٍ لبنانية، في حياتنا هذه، يمكن اعتبارها مخالفةً للحظة الحقيقة التي نشهّر بها؟ ألحظة المئة مليار ديناً عاماً؟ ألحظة تجديد الولايات الرئاسية، وبأيّ مقياسٍ وبأيّ ثمن؟ ألحظة تمديد المجالس النيابية؟ ألحظة تأليف الحكومات واختيار الوزراء، وعلى أيّ أساس؟ ألحظة استيلاد مجلسٍ جديدٍ للنواب، كهذه اللحظة الماثلة بفجاجةٍ أمام عقولنا وعيوننا، وبهذا القانون الانتخابي اللعين؟ ألحظة تعيين السفراء والديبلوماسيين؟ ألحظة التنقيب عن الغاز والنفط؟ ألحظة إنتاج الموازنة؟ ألحظة المؤتمرات الدولية المعقودة لدعم لبنان؟ ألحظة استئجار الكهرباء؟ ألحظة التفقير والتجويع العمومية؟ ألحظة السرقة والنهب؟ ألحظة الاستراتيجيا الدفاعية الممنوعة بالقوة والترهيب؟ أم للحظة السلاح الموجود في يدٍ غير يد الدولة؟

لحظةٌ ماذا، غير هذه المذكورة أعلاه، هي لحظة الحقيقة المضادة، والبديلة؟!

بأملٍ عظيم، وبنداءٍ وطنيّ ووجداني هائلٍ وعظيم، لكنْ باختصارٍ شديدٍ وموجع، نقولُ الآتي: ثمة لحظةٌ مضادة وبديلة بالتأكيد. هي لحظة الناس الممنوعين من الصرف. الممنوعين من الوجود. الممنوعين من الحياة. الممنوعين من كسر الحقيقة الماثلة أعلاه.

لحظة الناس هذه، ولحظة الناس هؤلاء، هي لحظتنا الأخلاقية التي نقترحها من أجل لبنان واللبنانيين. لكنْ، لماذا هي لحظةٌ أخلاقية؟ لأن إعلاء شأن الحقيقة المضادة، لحظة لبنان الديموقراطي الحقيقي، لبنان الحرية، لبنان الدولة المدنية العلمانية، يتطلّب أخلاقاً استثنائية، في حياتنا الوطنية والسياسية.

لمَن يريد هذه اللحظة، فليقف معنا، من على هذه المنصة، ليعلن الضرورة التاريخية القصوى لـ"فقء الدملة". هذه الدملة سرطانية، والورم الذي يعشش فيها هو ورمٌ قاتل للبنان وللبنانيين. فلنفقأ هذه الدملة. ولنجتثّها.

في مناسبة هذه الذكرى الثالثة والأربعين لاندلاع الحرب اللبنانية، ثمة استحقاقٌ تاريخي يتطلّب منا أن نواجهه بلحظةٍ مكرّسةٍ للحقيقة، لا زغل فيها ولا مواربة: كثرٌ من الذين صنعوا الحرب يومذاك، ومن الذين استمرّوا فيها، ويكملون فصولها حتى يومنا هذا، هؤلاء الذين استسلموا للخارج يومذاك، والذين لا يزالون يصرّون على الاستسلام له، هؤلاء الذين غيّبوا فكرة لبنان، ومعناه، وجوهره، من خلال عدم تظهير القيمة المضافة لمكوّناته، لكن من خارج الطائفيّة والمذهبيّة، هؤلاء الذين أطاحوا قيم الحرية والشفافية والتجرد والترفع، ها هم هؤلاء الذين صنعوا الحرب، ولا يزالون يصنعونها، ماثلون أمامنا، أمامكم. وهم، أنفسهم، أو ورثتهم، يتهيأون، مرةً جديدة، لإعادة إنتاج أنفسهم في هذه الانتخابات. فافقأوا دملتهم. إنها سرطانية. واستأصلوا الورم. واصنعوا التغيير.

أتريدون لحظةً للحقيقة؟! خذوها مجاناً. وافقأوا هذه الدملة. فمن هذا الفعل بالذات، تبدأ صناعة التاريخ للخروج من الحرب بالدستور، بتطبيقه كاملاً. تحذيراً نحذّر: عبثاً كلّ شيءٍ سواه!

akl.awit@annahar.com.lb